

# المؤتمر السنوي السادس فلسطين... رؤى إستراتيجية سياسية



## تحديات ومقومات النهوض الوطني

### معين الطاهر

(هذه الورقة مسودة، ليست للنشر أو الاقتباس)

## الزميلات والزملاء الكرام

بداية أتقدّم بالشكر الجزيل للزملاء في مركز مسارات على إتاحتها هذه الفرصة لي للتحدّث في الطاولة المستديرة، ضمن فعاليات مؤتمر مسارات السادس، متمنيًا لكم ولمؤتمركم المزيد من التقدّم والنجاح على طريق إنجاز المشروع الوطني الفلسطيني المتمثّل بتحرير فلسطين؛ كامل فلسطين.

## الزميلات والزملاء

على الرغم من وجود بوادر وإمكانات واقعية لمصالحة فلسطينية تزداد فرصها هذه المرة عن سابقتها، إلا أنّ السماء ما زالت ملبّدة بالغيوم المتراكمة، وما زال ثمة تحديات تقف أمام طريق مصالحة فلسطينية حقيقية، منها ما هو خارجي مثل الدور الإسرائيلي والأميركي الذي طالما وضع شروطًا على اتفاقات سابقة، ومنها المحاور العربية والإقليمية التي تتجاذب أطراف الانقسام، إضافة إلى العوامل الداخلية المتعلّقة بالاتفاق على البرنامج السياسي للسلطة الوطنية، وعلى آليات إجراء الانتخابات، وضمانات الاعتراف بنتائجها، وعلى أسلوب عمل السلطة وعلاقتها بالاحتلال من جهة وبمنظمة التحرير التي لم يُحسم بعد كيفية إعادة إحيائها من موتها بما يكفل تحقيق المشاركة السياسية لفئات الشعب الفلسطيني المختلفة، ويمتد هذا إلى مجمل العملية السياسية الفلسطينية، فضلًا عن الموقف الفعلي من طرائق مقاومة الاحتلال ومواجهته أو التنسيق الأمني معه.

ومن اللافت للنظر أنّ الانقسام لم يعد جغرافيًا بين الضفة الغربية وقطاع غزة أو بين مجموعتين سياسيتين، فهو منذ اتفاق أوسلو، وبعد إعادة إنتاج هذا الاتفاق في عهد الرئيس محمود عباس، قد أصبح انقسامًا حول مشروع وطني جامع لفئات الشعب الفلسطيني كلها وفي جميع أماكن وجوده، ذلك أنّ مشروع أوسلو وحلّ الدولتين الذي تهاوي لا يعني في حقيقة الأمر بقضايا النزاع كلها، ويهمل بشكل ملموس الفلسطينيين في الشتات وفي مناطق 1948 وفي القدس. بوضوح ما عاد لدينا مشروعًا وطنيًا جامعًا مثل ذلك الذي تبنته منظمة التحرير في ميثاقها.

وعلى الرغم من اعتراف الرئيس عباس بأنّ السلطة بلا سلطة، وبأنّ حلّ الدولتين قد ابتلعه المستوطنات. ومن المتغيّرات التي طرأت على حركة "حماس" أكان ذلك في وثيقتها السياسية الأخيرة أو في تركيبها التنظيمية الجديدة، إلا أنّ الساحة الفلسطينية اليوم، وأكثر من أي يوم مضى، تقتقر إلى برنامج ومشروع وطني جامع

يحقّق تطلّعات الشعب الفلسطيني، ويجمع ما بين التمسّك بالحقوق التاريخية وتحقيق إنجازات ملموسة على الأرض، ويحافظ على وحدة الشعب الفلسطيني في جميع أماكن وجوده، ويدافع عن قضاياهم وهمومهم المختلفة ضمن برامج تُوحّد ولا تُفَرِّق، وتجمع ولا تُقسّم.

أمّا الحديث عن الدولة الواحدة في هذه الأيام فلعلّه كلام حق يراد به باطل، إذ يُلاحَظ أنّ الجزء الأغلب ممّن أصبحوا يَلُوّحون بهذا الحل إنّما يلجؤون إليه لتخويف الإسرائيليين على مصير يهودية دولتهم، وحملهم على العودة إلى مسار حلّ الدولتين الذي لفظ أنفاسه، ومخاطر مثل ذلك واضحة لا تخفى على أحد؛ لأنّها تستبدل وهماً بسرّاب، وتُهيأ الرأي العام لقبول ضم إسرائيل للمناطق المحتلة، وهو ضم لا يعني سوى أن تتكرّس إسرائيل كدولة أبرتايّد وتمييز عنصري بصورة أكثر بشاعة بكثير من نموذج السابق الشائع الصيت في جنوب أفريقيا، ذلك أنّ حلّ الدولة الواحدة لا يستقيم إلّا بتفكيك البنية القانونية والدستورية للكيان الصهيوني كاملة وما يستتبع ذلك من إجراءات.

ثمّة تحدٍ آخر يتمثّل في الحديث المكرّر عمّا يسمونه صفقة القرن، والتي بدأت ملامحها تتضح، وهي تقوم على اعتبار التطبيع العربي مع إسرائيل عبر خلق عدو مشترك للطرفين (إيران في هذه الحالة) هو المدخل لفتح نافذة للاتفاق مع الفلسطينيين لن تكون أكثر من حكم ذاتي للسكان يضمّ كانتونات متفرقة قد تُربط في صيغة اتحادية مع الأردن. ولعلّه اسمه الملائم هو مشروع تصفية القضية الفلسطينية.

ثمّة تحديات أخرى تتعلّق بالقدس والاستيطان، وبالفساد والحريات، وبالمشاركة السياسية، وباللاجئين والأسرى. وبالتحرّك الدولي لعزل إسرائيل في العالم.

تُشكّل هذه التحديات كلها مدخلاً لإعادة صوغ المشروع الوطني الفلسطيني، وتحدّد، عبر مواجهتها، مقومات النهوض الوطني المستند للمشروع الوطني الفلسطيني المنطلق من الحفاظ والعودة إلى الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني في مواجهة المشروع الصهيوني بأبعاده كلها.

